فمن الخطأ في التصوّر أن نعتقد أن الحياة الأوربية كلها فساد وشهوات وبحث عن المادة ، وانغماس في الملذات ، وخضوع لمنجزات العلم وحدها ، بل هناك مظاهر حياتية متعددة يبدو فيها أثر الدين والعادات المنبثقة من الدين في الأساس .

والذي يهمنا أن نرصد مظاهر العودة إلى الدين في الأدب خاصة ، فهذا الشاعر الإنجليزي ت . س . إليوت ، والذي يمثل ظاهرة أدبية بازرة في الشعر الأوربي الحديث،يسجل للشعر قوته الروحية من خلال نتاجاته التي يظهر فيها تلك القوة في أكثر من مظهر،وخاصة الرموز الدينية ، بالإضافة إلى أعماله النقدية التي تؤكد على أهمية التراث في العمل الأدبي ، هذا التراث الذي يعتبر هضمه وتمثيله من مظاهر العبقرية الشعرية . ويمكن أن ننظر،على سبيل المثال ، مقالته المشهورة (الأدب والدين)(٣) فضلاً عن نتاجه الشعري ذاته .

وفي هذا الإتجاه نجد الدراسات الأدبية الأخرى تلتقي مع الدين في نظرتها إلى النموذج البشري في الأدب (وهو اتجاه حرص فيه بعض النقاد والدارسين على بيان الصلة الوثيقة بين (التركيبة الشخصية) أو الذاتية التي عليها الإنسان وموقفه من الدين ، ونوع وطبيعة هذا الدين)،(٤) ويلاحظ هذا على كتاب موريس فريدمان في دراسته (اللقاء بين الدين والأدب) خاصة .

ولانغالي إذا قلنا أن هذا الربط بين الدين والأدب يجد طريقه الآن بشكل تدريجي في روسيا بعد التحولات الجارية في المجتمع السوفيتي ، بل إن ماحاوله (المستقبليون) من قطع كل صلة بالتراث الروسي ، ومن جملته الدين ، قد باء بالفشل واصطدم بالوجدان الشعبي ، فارتدت الموجه ، وظهر جيل جديد يؤمن بالتراث وقيمه (٥) .

ويمكن أن نذكر أنه حتى في المراحل التي اتجهت فيها أوربا اتجاهاً مضاداً للمعتقدات الدينية ، وجدنا من الشعراء من يدفعه الشعور الديني والتربية الدينية إلى المخاطرة والمغامرة بحياته . فهذا اللورد (بايرون) الشاعر الرومانسي الإنجليزي